

الخلافة: من الحلم المنشود إلى الكابوس الموجود

٢٠١٤/٩/١٦

جميلة تلوت

كاتبة وباحثة مغربية- طالبة دكتوراة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
من مؤلفاتها: مرتبة العفو: قراءة أصولية تحليلية في ضوء موافقات الشاطبي، فقه التنزيل
عند الإمام ابن تيمية، المنهجية والمذهبية: دراسة في المفهوم وأعمال أخرى.



مدخل:

في ظرف أشهر سمعنا إعلان خلافتين ودعوة ثالثة إلى خلافة عالمية في مناطق متفرقة؛ الأولى في الموصل من إعلان دولة العراق والشام والمعروفة اختصاراً بـ "داعش"، والثانية في نيجيريا من جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد والمعروفة بـ "بوكو حرام" والتي تعني "التعاليم الغربية حرام"، أما الثالثة فكانت دعوة لإحياء الخلافة في شبه القارة الهندية بعد إعلان أيمن الظواهري، زعيم تنظيم القاعدة، عن قيام فرع للقاعدة في هذه المنطقة تحقيقاً لبشرى النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وحماية لإمارة أفغانستان، وأملاً للأمة في إحياء الخلافة، ولا يخفى أن إعلان تنظيم القاعدة عن الفرع الجديد في منطقة يُعدُّ فيها المسلمون أقلية ضرب من التنافس والتسابق بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في مزيد استقطاب للمجاهدين ورغبة في تأسيس الخلافة الحاكمة النافذة.

هكذا يعود حلم الخلافة للواجهة مرة أخرى، لكن بشكل مختلف عما يوجد داخل المخيال الجماعي، بل بتنزيل أقل ما يقال عنه أنه كارثي، فصار التمثل الواقعي للخلافة مناقضاً للمثال، وهذا يجرنا لمشروعية السؤال حول الخلافة، وكيف صارت غاية الأحلام وعلى رأس الأهداف؟

بداية الحلم:

منذ أن قام أتاتورك بانقلابه للقضاء على "الخلافة" العثمانية- مع التحفظ على وسم الدولة العثمانية وقتها بالخلافة- قامت تنظيمات وجماعات إسلامية ساعية إلى إرجاع الخلافة وإحيائها من جديد باعتبارها حامية للدين، وقتها ظهرت تيارات الحركات الإسلامية وكان من أولى همومها في البدايات، ولا يزال عند الكثيرين، استرجاع الخلافة - وكأنها كانت موجودة وقتها مع العثمانيين في أواخر دولتهم!- واستعادة الأمجاد الضائعة، لم يكن أتاتورك يدرك أنه بانقلابه ذاك على الخلافة، الاسم لا المسعى، ستقوم كبريات الحركات الإسلامية. لذلك فلو جزمنا بأن العلة التأسيسية لقيام الحركات الإسلامية هي استعادة الخلافة لما كنا خاطئين، لكن هذه الحركات عرفت تطوراً في بنيتها وأهدافها نتيجة العمل المراجعاتي وظهور أجيال جديدة من الحركة الإسلامية ساعد على تطوير النسق المعرفي للحركة المنتهية إليها، وتعديل أولويات الهدف السياسي مع تفاوت في درجة النضج والتطور لهذه الحركات.



لكن بعض هذه التنظيمات بقي متشبها بهذا الحلم، خصوصا عند من يرى أن جوهر أزمة الأمة العربية والإسلامية يكمن في سقوط الخلافة وللخروج من الأزمة يجب إعادة إحيائها، هكذا ترتبط الأزمة والنهضة بالخلافة وجودا وعدما^١.

هنا يعاد النظر في سؤال الخلافة، ثبوتها وفهما، نظرا وتأويلا، فكم من الأقوال والأفكار تؤخذ مسلمة بالتقليد، فيسقط تعجب العقول منها لكثرة تداولها، حتى تصير معدودة في المسائل اليقينية^٢، كما يقول د. طه عبد الرحمن.

الخلافة بين إشكال الثبوت وسؤال الفهم:

ليس قصدي في هذه الورقة البحثية عرض تعاريف وشروط وضوابط الخلافة، وإنما الغرض إعادة التساؤل عن ركنية الخلافة ومركزيتها بإعادة النظر في عدد من نظيراتها، وأول ما يلفت النظر عند البحث عن ماهية المصطلح تعدد التعريفات بين مختلف المشارب نظرا لتراحم المعاني والدلالات، ويظل التحديد الخلدوني الأشهر في تعريفات الخلافة إذ ميز ابن خلدون في مقدمته بين ثلاثة أنماط من الحكم، الملك الطبيعي والسياسي ثم الخلافة؛ فالملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، ثم الخلافة وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليهما، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به^٣. فكانت الخلافة بذلك على هرم المراتب السلطانية، فهي الأنموذج المتعالي الأكمل لجمعها بين الديني والدنيوي، الآني والأخروي.

وإذا أرجعنا البصر كرة أخرى صوب أسسها، فسيظهر لنا أن دعوى الخلافة تستند إلى أسس نصية، ويظل عمدة الحاملين بالخلافة ما رواه الإمام أحمد وغيره، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريًّا

^١ - بل حتى المنظرون بقي عندهم حلم الخلافة قائما، يقول عبد الرزاق السنهوري إنه "مع الاعتراف باستحالة تصور إقامة نظام الخلافة الراشدة أو الكاملة ومن ثم ضرورة إقامة حكومة إسلامية ناقصة غير كاملة، وذلك على أساس حالة الضرورة للظروف التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم، وهذا النظام الناقص يجب اعتباره نظاما مؤقتا، ويظل الهدف الأمثل هو السعي إلى العودة مستقبلا للخلافة الراشدة". فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، عبد الرزاق السنهوري، تحقيق: د. توفيق الشاوي؛ ناديا السنهوري، بيروت: مؤسسة الرسالة؛ منشورات الحلبي، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٣٣٩.

^٢ - روح الدين من ضيق الغلمانية إلى سعة الائتمانية، طه عبد الرحمن، بيروت: المركز الثقافي المغربي، ط ١، ٢٠١٢، ص ٢٣.

^٣ - مقدمة ابن خلدون، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة: الدار الذهبية، ص ٢١٣.

فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت^٤ .

وقد قام د. الريسوني بدراسة نقدية للأحاديث المؤسسة وذلك بجعل صلاحيتها للاحتجاج في الأمور الجسم محل سؤال، معتبرا أن هذا الحديث المستدل به لا يخلو من هشاشة في ثبوته وصحته، وأقصى ما يقوله فيه أهل الاختصاص أنه "حَسَنُ الإسناد". ومثل هذا لا يبنى عليه شيء من الأحكام الغليظة والأمور الجسيمة، كما يقول د. الريسوني، بل قصارى ما يصلح له هو التبشير وبث الأمل، أما إذا جد الجد وعظمت الأمور، فلا بد من أدلة صحيحة متينة، وإلا فلا.

هذا بالإضافة إلى وجود أحاديث أخرى لا يذكر فيها لفظ الخلافة، وهو في مثل درجة هذا أو أعلى منه، وهو حديث سفينة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله مملكه من يشاء»^٥. فهذا الحديث لم يذكر خلافة ثانية تأتي وتكون على منهاج النبوة بعد الخلافة الأولى.

وأخيرا، يوجه د. الريسوني نقده لفهم الحديث باعتبار أن كلا الحديثين ليس فيه أمر ولا نهي، أي ليس فيه تكليف بشيء. فمن ادعى أنه بإعلانه الخلافة وتبعاتها الخطيرة قد قام بما أوجب الله عليه، فليخبرنا أين كلفه الله بهذا؟ ومن أين له هذا الوجوب؟ وإلا فهو دَعِيٌّ، ومن الذين يفعلون ما لا يؤمرون^٦. فهذا نقد د. الريسوني للأسس النصية لمسألة "الخلافة"، وهو يتوجه رأسا لصلاحية الاحتجاج بهذه الأحاديث بالنظر إلى قوتها سنداً وامتناً، وإن كنت أرى أن الاعتراض على الأحاديث المهمة في الباب بأنها لا تصلح للاحتجاج يظل محل نظر، لأن الحديث الحسن يستدل به عند أهل الشأن، وهو صالح للاحتجاج بخلاف الضعيف^٧، لكن استفاد من قول الأستاذ الريسوني أن الخلافة من الأمور الجليلة الشأن، والتي لم يصح بشأنها حديث فضلا عن عدم ورودها في السياق القرآني باعتبارها نمطا من أنماط الحكم، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن ركنية الخلافة في الفكر الإسلامي؟

^٤ - مسند الإمام أحمد، أول مسند الكوفيين، ١٨٤٣٠، من طريق النعمان بن بشير. قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٨/١.

^٥ - سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ٤٦٤٧، عن سعيد بن جهمان عن سفينة مرفوعا. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٧٤٢/١.

^٦ - د. أحمد الريسوني: الخلافة على منهاج النبوة والخلافة على منهاج داعش، موقع الجزيرة.نت.

^٧ - يقول العراقي في ألفيته: والفقهاء كلهم يستعمله ... والعلماء الجل منهم يقبله

وهو بأقسام الصحيح ملحق ... حجية وإن يكن لا يلحق

وقال السخاوي في شرحه: "وعليه، أي الحسن، مدار أكثر الحديث، أي بالنظر لتعدد الطرق فإن غالبا لا يبلغ رتبة الصحيح المتفق عليه، ونحوه قول البغوي أكثر الأحكام ثبوتها بطريق حسن". فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، الحافظ السخاوي، دراسة وتحقيق: عبد الكريم الخضير: محمد آل فهيد، الرياض: مكتبة دارالمهاج، ط ١، ١٢٥/١٤٢٦.

ومنه، فإنه على فرض سلامة الأحاديث من المعارض وصلاحيتها للاحتجاج، فهل يعقل أن تكون الخلافة مجرد اسم خال من مضمونه؟ وهل من عادة الشريعة ربط الأحكام بالأسماء والمباني دون المقاصد والمعاني؟

فالعلاج بين أهل العلم والنظر أن مدار الأمر على المقاصد والمعاني لا الألفاظ والمباني، فالأحكام تدور دوماً مع المعاني التي تحملها تلك الأسماء، وأهم مقصد يتفق عليه النظار عند بحثهم للخلافة هو تأسيسها على مبدأ العدل، فحتى نسمّ دولة أنها على منهج الخلافة فيجب أن تكون عادلة أولاً، يقول ابن تيمية: "إن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يروى: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"^٨، وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"، فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة^٩.

وهذا الأمر متفق عليه بين العقلاء بله العلماء، فحتى محمد رشيد رضا رأى أن أول شرط للخلافة هو العدالة أولاً^{١٠}، لذلك فإن مدار الأمر على السعي إلى تحقيق العدل ومحاربة الظلم المؤذن بخراب العمران، بعبارة ابن خلدون، وهذا ما يلخصه د. أحمد الريسوني في عبارة جامعة مانعة: "لو اختفى لفظ "الخلافة والخليفة" من حياة المسلمين إلى الأبد، ما نقص ذلك من دينهم مثقال ذرة ولا أصغر منها. ولكن إذا اختفى العدل، واختفت الشورى، وشرعية الحكم ليوم واحد، فتلك طامة كبرى"^{١١}.

في نقد حلم الخلافة:

^٨ - مجموع الفتاوى، ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار؛ أنور الباز، المنصورة: دار الوفاء، ط ٢، ٢٠٠١، ٦٣/٢٨.

^٩ - مجموع الفتاوى، مصدر سابق، ١٤٦/٢٨.

^{١٠} - الخلافة أو الإمامة العظمى: مباحث شرعية سياسية اجتماعية إصلاحية، محمد رشيد رضا، القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٢٢، ص ٧٢.

^{١١} - يرجى النظر لمقال: الخلافة على منهاج النبوة والخلافة على منهاج داعش، أحمد الريسوني، موقع الجزيرة.نت.

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/7/7/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7%D8%AC-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4>

بعيدا عن انتقادات الشيخ علي عبد الرازق لفكرة الخلافة في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"^{١١} والتي جرت عليه الولايات، فإننا نجد ضمن التيار الإصلاحى أصواتا منتقدة للخلافة كالمصلح الجزائري ابن باديس، والذي أقر بفتنة المسلمين لما يسمى بالخليفة مما كان مدعاة لاستغلالها من الدول المستعمرة، ولكن ذلك لم يكن محل عجب، بل العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم^{١٢}، ووقتها صرخ ابن باديس قائلا "كفى غرورا وانخداعا أن الأمم الإسلامية اليوم - حتى المستعبدة منها- أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءت من تحت الجيب والعمائم"^{١٣}، خصوصا أن معنى الخلافة انسلخ عن معناه الأصلي وبقي رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الإسلام في شيء^{١٤}، فيوم ألغى الأتراك الخلافة لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي، وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى^{١٥}.

لكن يبدو أن الأمم اليوم ما زالت منخدعة بهذا الرمز الخيالي، لأن التهاويل صارت جزءا من المخيال الجماعي، خصوصا عند بعض التيارات الإسلامية، ولا يزال الخيال حيا والحلم قائما، ولا أدري متى سيقف المسلمون على حكمة ابن باديس حين قال: "إن خيال الخلافة لن يتحقق، وإن المسلمين سينتهون يوما ما - إن شاء الله - إلى هذا الرأي"^{١٦}.

ويظل الإشكال الأكبر في التنظيرات السياسية للخلافة أنها جعلتها حامية للدين، والحال أنها ليست كذلك، فليس الدين دائرا مع الخلافة وجودا وعدما، بل الدين موجود بوجود الإنسان الخليفة لا دولة الخلافة، وهذا من سلبيات تضخم الجانب السياسي في مشروع الخلافة على حساب تقزيم الخليفة/الإنسان.

ومن إشكالات التنظير لنمط الخلافة رفع شأن الخليفة فوق مصاف بني البشر بأن صار نائبا عن النبي صلى الله عليه وسلم^{١٧}، فتصير الخلافة أشبه بالرئاسة الثيوقراطية الهجينة^{١٨} كما كان الحال عند الفرس والروم^{١٩}، لذلك فإن هذه المبالغة في جعل الخليفة نائبا عن النبي سيجعل الخليفة فوق المحاسبة،

^{١٢} - "إن تلك التي دعوها الخلافة أو الإمامة العظمى لم تكن شيئا قام على أساس من الدين القويم، أو العقل السليم، وبأن ما زعموا أن يكون برهانا لها هو إذا نظرت وجدته غير برهان". الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق، تقديم عمار علي حسن، القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١٢، ص ٥٤.

^{١٣} - آثار ابن باديس، عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط٣، ١٩٩٧، ٤١٠/٢.

^{١٤} - آثار ابن باديس، ٤١٠/٢.

^{١٥} - آثار ابن باديس، ٤١٠/٢.

^{١٦} - آثار ابن باديس، ٤١٠/٢.

^{١٧} - قال ذلك في سياق مكاتبتة شيخ الأزهر الشريف بهذا المعنى ولكنني لم أتلق منه جوابا وعرفت السبب يوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا يوما بالخلافة لملك مصر فاروق الأول. آثار ابن باديس، ٤١١-٤١٢.

^{١٨} - يقول ابن خلدون: "وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته". المقدمة.

^{١٩} - يعرف د. طه عبد الرحمن هذا المركب الثيوقراطية الهجينة بأنها الثيوقراطية التي لا تلتزم بإقامة الدين في كليته، ولا تقاوم الفصل العلماني. روح الدين، ٥١٠.

^{٢٠} - جاء في الكتاب المقدس، العهد الجديد: "على كل إنسان أن يخضع لأصحاب السلطة فلا سلطة إلا من عند الله، والسلطة القائمة هو الذي أقامها، فمن قاوم السلطة قاوم تدبير الله فاستحق العقاب [...] تريد ألا تخاف السلطة؟ اعمل الخير تنل رضاها فهي في خدمة الله خيرك، ولكن خف

وهذه إحدى المحاذير الكبرى، والتي تتعزز بانتماء المصطلح لفترة زمنية مباركة تتسم بالرشد، حيث ورد في السياق الحديثي بعد مرحلة النبوة مباشرة، ثم ارتبط بصعود أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهذه القداسة الزمنية المترسخة في العقل المسلم "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم" و"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" قد تصير سببا في انسحاب فكرة خيرية الخليفة في كل زمان، ولا يخفى ما لذلك من أثر على نفسية الأتباع، فيغدو الخليفة أشبه بالوثن الجديد الواجب تقديسه وتبجيله ورفعته إلى مقامات الأولياء والأصفياء فهو نائب عن النبي! وهذا ما نجده لدى المدعين الجدد حيث اعتبروا أنفسهم خلفاء! ولا يخفى ما لهذه التسمية من قوة معنوية على الأتباع.

في نقد كابوس الخلافة

إن تحليل الخلافة كما تقدم نفسها في الواقع، بعيدا عن المثاليات النصية والمغالات النظرية سيدفع بالتحليل قدما، باعتبار أن واقع الخلافة، في مجمله بعيدا عن الزمن الراشد، واقع تسلط وقهر وغلبة غابت فيه هذه المثاليات المرجوة.

فالمتمأمل لواقع الخلافة المزعومة والموهومة يرى أنه واقع منقطع عن المرجعية الدينية مهما ادعى وصلاها، لذلك نجد فجوة بين التنظير والممارسة، بين المفروض في عالم الأذهان والواقع في عالم الأعيان، أما إذا نظرنا للجماعات والتنظيمات المعاصرة التي أعلنت الخلافة سنجد أن القاسم المشترك بينها هو الرغبة في احتكار العنف، وتطبيق الشريعة ولو بصورة عوجاء عرجاء، وكأن الشريعة مبنية على قطع الأيدي وجز الرقاب والتمثيل بالجثث! وتظل داعش النسخة الأكثر تشوها حيث إنها وجهت بسالتها تجاه الصف الإسلامي بالدرجة الأولى، وما حال سوريا عنا ببعيد، حيث قام تنظيم الدولة بمحاربة جبهة الثوار فأعادوا احتلال مدن قام الثوار بتحريرها مقابل معارك خجولة مع النظام السوري، فصارت الخلافة كابوسا، وغدت وحشا يكبر ويتضخم يحتاج لمن يروضه، فما كان من أمريكا إلا أن أعلنت نفسها حامية للإنسانية من الإرهاب! خصوصا مع مقتل الصحافي الأمريكي الأول!^{٢١}

وفي الختام، فإني أؤكد أنني لست في معرض تأكيد أو تفنيد أن الخلافة طوبى أو حلم أو مشروع أولوي، ولكن يجب الإقرار أن حلم الخلافة تضخم في الفكر الإسلامي المعاصر الأمر الذي استدعى النظر في الأولويات، فهناك من تراجع وهناك من ظل يشغل على تحقيق الحلم باعتباره المبتدأ والمنتهى، لكن هذا الحلم ما فتئ أن صار كابوسا مؤرقا بعد أن كان حلما يسبح في فضاء المثاليات، فكان الموجود مخالفا

إذا عملت الشر، لأن السلطة لا تحمل السيف باطلا. فإذا عاقبت فلأنها في خدمة الله لتزول غضبه على الذين يعملون الشر. لذلك لا بد من الخضوع للسلطة... فأصحاب السلطة يخدمون الله حين يواظبون على هذا العمل."رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة رومة. الكتاب المقدس. العهد الجديد، ص ٤٠٦. وإن كانت الخلافة وفق التنظير الإسلامي المقبول تبنى على البيعة بخلاف الملك الثيوقراطي، لذلك نجد الكثيرين رادفوا بين مصطلحي الخلافة والإمامة، وذلك إشارة إلى أن الهدف واحد.
^{٢١} - ويظهر أن الإنسانية عندهم مختزلة في الإنسان الأمريكي فقط!

للمنشود، الأمر الذي يستوجب إعادة النظر في الأدبيات السلطانية بما ينسجم والكليات الشرعية، وألويات الأمة، وكذا أسئلة المرحلة بعيدا عن المزايدات الجوفاء.

فقيم ينفع الإعلان الموهوم للخلافة والإنسان الخليفة^{٢٢} مقهور؟

وفيم ينفع إن كانت تقوم على الكرامة المسلوقة والدم المهدور؟

فالذي يمكن الجزم به أن الخلافة ليست اسما يطلق بين عشية وضحاها، بل الخلافة مضمون ومسمى، لها مقومات وأصول لا تقوم بدونها، فإذا وجدت فلتسم الدولة خلافة أو إمارة أو غير ذلك من التسميات، المهم الالتزام بالمقاصد والمعاني لا الألفاظ والمباني، ولا مشاحة في الاصطلاح بعدها.

أما الجهاد في غير معركة، وادعاء الانتصارات الزائفة ولو على حساب الدم الأدمي البريء، فهو مكمّن التخلف ولورفع شعار إحياء الدين!

^{٢٢} - هنا أحيل على الدراسة النفيسة للدكتور أحمد خيرى العمري والتي اشتغلت على مفهوم الخلافة كما جاء في القرآن الكريم وذلك في كتابه القيم: سيرة خليفة قادم: قراءة عقائدية في بيان الولادة. مركز التفكير الحر، ط١، ٢٠١٣. بالإضافة إلى كتاب: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، عبد المجيد النجار، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٥.